

تاريخ القبول: 2019/05/18

تاريخ الإرسال: 2019/05/10

مستقبل حركات الإسلام السياسي بعد فشل ثورات الربيع العربي
**The future of the Political Islam movements after
the failure of the Arab Spring revolutions.**

عنتر بن مرزوق

جامعة المسيلة (قسم: العلوم السياسية – كلية: الحقوق والعلوم السياسية)

antara.benmerzoug@univ-msila.dz

مَلِكُ حَيْضِ الْبَيْتِ

يحاول هذا المقال دراسة مستقبل حركات الإسلام السياسي بعد فشل ثورات الربيع العربي، وذلك من خلال تقديم أهم الرؤى والسيناريوهات التي تحدد مستقبل تلك الحركات في المجتمعات العربية. ويتوقف ذلك أساسا على طبيعة علاقاتها العمودية مع الأنظمة السياسية القائمة، وعلاقاتها الأفقية من خلال قدرتها على التغلغل داخل المجتمع، وعلاقاتها الخارجية من خلال قدرتها على الإقناع بأن مشروعها غير مهدد للمصالح الإستراتيجية لمختلف القوى الإقليمية والدولية. الكلمات المفتاحية: الإسلام السياسي، الربيع العربي، الفكر الإسلامي، الانقلاب العسكري، الديمقراطية، العلمانية...

Abstract :

This article tries to study the future of the political Islam movements after the failure of the Arab Spring revolutions, by presenting the most important visions and scenarios that determine the future of these movements in Arab societies. This depends mainly on the nature of its vertical relations with the existing political systems, its horizontal relations through its ability to penetrate into society, and its external relations through its ability to convince that its project is not threatened by the strategic interests of the various regional and international powers.

Key words : Political Islam, Arab Spring, Islamic thought, military coup, democracy, secularism...

مقدمة:

نالت حركات الإسلام السياسي اهتمام الكثير من الباحثين والدارسين في مجال الفكر العربي سواء من الناحية النظرية بالتركيز على الأسس الفكرية التي قامت عليها، أو من حيث واقعها العملي وما يثيره من إشكالات كبرى تتعلق بمدى انسجام طروحاتها الفكرية مع واقع سياسي عربي يتسم بكثير من التعقيد.

ومع صعود بعض هذه الحركات إلى السلطة بعد أحداث ما عرف بثورات الربيع العربي برز جدل ونقاش كبير أفضى إلى حالة من الاصطفاف الإيديولوجي والانقسام المجتمعي داخل البيئة العربية، بين من يرى أن وصول هذه الحركات للسلطة بطريقة سلمية ديمقراطية أمر طبيعي يمكن أن يسهم في ميلاد ديمقراطية عربية حقيقية تمثل بديلا للديمقراطيات الشكلية السابقة، وبين من يراها شكلا من أشكال الانتحار السياسي الذي يمكن أن يقوض تعزيز البناء الديمقراطي العربي ويهدد كيان الدولة الوطنية.

في ظل هذه الأجواء المتسمة بالصراع والانقسام استطاعت بعض حركات الإسلام السياسي (حزب العدالة والتنمية في مصر، حركة النهضة في تونس) بحكم تغلغلها داخل الأوساط الشعبية وتوظيفها للدين في الحياة السياسية أن تصل إلى السلطة، لتكون أمام امتحان عسير تمثل في مدى قدرتها على إدارة شؤون الحكم داخليا، والتقليل من حالات التوجس والارتياب على المستوى الخارجي.

غير أن فترة امتحان هذه الحركات داخل دواليب السلطة لم تدم طويلا، إذ سرعان ما تم الانقلاب عليها والإطاحة بها لتنتقل إلى امتحان آخر لا يقل صعوبة عن الامتحان السابق، تمثل أساسا في البحث عن مستقبلها.

انطلاقا من هذه المعطيات وبالعودة إلى أغلب التجارب السياسية لهذه الحركات في المجال العربي سنحاول التطرق من خلال هذه الدراسة إلى أهم السيناريوهات المستقبلية المحتملة لحركات الإسلام السياسي في المنطقة العربية بعد انتكاسة ما عرف بثورات الربيع العربي، وذلك يتطلب منا طرح الإشكالية التالية:

ما هي أهم التصورات المستقبلية لحركات الإسلام السياسي بعد خيبات الربيع العربي وما نتج عنها من تداعيات سواء على مستوى الأفكار أو على مستوى الممارسة ؟ الإجابة عن هذه الإشكالية يدفعنا إلى ضرورة تناول المحاور التالية:

المحور الأول: حركات الإسلام السياسي: دراسة في المفهوم

- حركات الإسلام السياسي وإشكالية التعريف.

- حركات الإسلام السياسي وإشكالية التوظيف.

- حركات الإسلام السياسي وإشكالية التصنيف.

المحور الثاني: حركات الإسلام السياسي بعد أحداث الربيع العربي: تحديات الواقع وسيناريوهات المستقبل.

- تداعيات أحداث الربيع العربي على حركات الإسلام السياسي.

- سيناريوهات مستقبل حركات الإسلام السياسي على ضوء انتكاسة ثورات الربيع العربي.

المحور الأول: حركات الإسلام السياسي: دراسة في المفهوم

سنحاول في هذا المحور التطرق إلى أهم الإشكاليات الكبرى التي يثيرها موضوع حركات الإسلام السياسي من الناحية الأكاديمية، سواء من حيث إشكالية التعريف، أو إشكالية التوظيف وأخيرا إشكالية التصنيف، وذلك كمايلي:

أولاً- حركات الإسلام السياسي وإشكالية التعريف.

من أكبر وأصعب المشكلات التي تواجه الباحث في دراسته لهذا الموضوع صعوبة التوصل إلى تعريف شامل ومحدد لحركات الإسلام السياسي، وذلك نتيجة لتعدد التعريفات وتنوعها، والاختلاف الواضح في توظيفها من جهة، إضافة إلى التداخل بينها وبين العديد من المصطلحات المشابهة لها من جهة أخرى.

تاريخياً ارتبط ظهور مصطلح الإسلام السياسي بميلاد الجماعات والحركات التي تستند إلى الدين الإسلامي وأفكاره، وتتخذ منه مرجعية لها في سبيل تحقيق أهداف سياسية واضحة والوصول إلى الحكم...ولذلك تم تعريفها بأنها تلك الحركات والقوى

التي تصبو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية منهجاً حياتياً مستخدمة بذلك منهجية العمل السياسي الحديث القائم على المشاركة السياسية في السلطة.¹ أو هي تلك المجموعات الدينية النشطة التي قامت في الأصل من أجل أهداف سياسية أو تعرف نفسها كفاعل سياسي. ويخرج هذا التحديد الضيق من التعريف جماعات النشاط الديني الملحقة بالدولة التي لا تنظر إلى نفسها ككيونة مستقلة، كما يخرج من التعريف الجماعات الدعوية أو العلمية البحتة، كمدارس التعليم الشرعي التي لا تمارس السياسة أو لا تضع في اعتبارها أهدافا سياسية.²

في حين عرفها لياس بوكراخ في كتابه الموسوم "بالجزائر: الرعب المقدس" بأنها: منظمات تدعو إلى تأسيس السياسة على نصوص مقدسة، وتعتقد بحل المشكلات بواسطة الشرع المنزل، وتعمل على اجتثاث واستبعاد كل ماهو غريب عن الوحي الذي لا يقبل تبديدا ولا تجديدا. أما الباحث الجزائري الهواري عدي فيعرفها بأنها: حركة سياسية تهدف لإقامة الدولة الإسلامية، وتبني سياستها الإدارية على العمل من أجل الخير العام، وخطابها يوفر معلومات حول الفئات الاجتماعية، وتستمد شرعيتها من الخطاب القرآني.³

وبناء على ذلك فحركة الإسلام السياسي في جوهرها ماهي إلا عمل سياسي واجتماعي إسلامي في الفضاء العام يهدف إلى إحداث تأثيرات إسلامية سياسية واجتماعية وثقافية ودينية في ذلك الفضاء العام عبر عمل له صور وأساليب شتى، وهي ليست أمراً جديدا بل هي قديمة قدم الرسالة الإسلامية المحمدية نفسها.⁴

انطلاقاً من كل ما سبق يمكن تعريف حركات الإسلام السياسي بأنها تلك الحركات التي تسعى في مشروعها إلى الوصول إلى السلطة والعمل على أسلمة السياسة بالدعوة إلى تحكيم شرع الله في الأمور المتعلقة بنظام الحكم، وتدبير الشأن العام للمجتمعات الإسلامية.

غير أنه ومع التحولات الأخيرة التي شهدتها المنطقة العربية بعد أحداث الربيع العربي تغير خطاب العديد من حركات الإسلام السياسي فبعد أن كانت تدعو لإقامة دولة إسلامية تحكّم شريعة الله، وتعتبر أن لا حاكمية إلا لله، أصبحت الآن تدعو

إلى إقامة دولة مدنية ديمقراطية تخضع لحكم القانون. وهذا ما أثار العديد من النقاشات والتساؤلات حول مدى صدقية قبول حركات الإسلام السياسي لبعض المفاهيم والقيم الليبرالية، هل كانت بناء على قناعات فكرية راسخة و التزامات حقيقية أم بناء على خيارات تكتيكية اضطرارية فرضتها ظروف المرحلة الراهنة. ثانيا- حركات الإسلام السياسي وإشكالية التوظيف.

رغم شيوع هذا المصطلح في أدبيات الفكر العربي كمفهوم يجمع بين الإسلام كدين والسياسة كممارسة، إلا أنه كثيرا ما تعرض للنقد والرفض من طرف أتباعه الذين يرون فيه تشويها للإسلام وتقزيمًا له، فالإسلام دين شامل لكل مناحي الحياة، لا يمكن تجزئته أو تقسيمه.

إن عبارة الإسلام السياسي صناعة غربية، فهو مصطلح لم ينبع من داخل الحركات الإسلامية أو الفكر الإسلامي وأصالته، بل جاء من خارجه، وجاء خصيصا في سياق النقد والتجريح، وتحديدًا فإن هذه النوعية من المصطلحات إنما ظهرت وعرفت مع انبثاق حركة الاستشراق الأوروبي التي وضعت الفكر الإسلامي والعالم الإسلامي في دائرة الدراسة والتحليل.⁵

ولذلك فقد اعتبر الشيخ يوسف القرضاوي أن كلمة الإسلام السياسي كلمة أطلقها خصوم الإسلام للتفنير من مضمونها، ومن الدعاة الصادقين الذين يدعون إلى الإسلام الشامل الذي لم يعرف المسلمون غيره طوال القرون باعتباره: عقيدة وشريعة، ودينا ودولة، وهي تسمية مرفوضة لأنها حسب القرضاوي تطبيق لخطة وضعها خصوم الإسلام تقوم على تجزئة الإسلام وتفكيته بحسب تقسيمات مختلفة، فليس هو إسلاما واحدا كما أنزله الله، وكما ندين به نحن المسلمين، بل هو إسلامات متعددة مختلفة كما يحب هؤلاء... كأن هناك أنواعا أخرى من الإسلام: إسلاما روحيا، وإسلاما فكريا، وإسلاما اجتماعيا، وإسلاما سياسيا، غير أن الإسلام هو الإسلام من حيث جوهره، ومن حيث مقوماته، ومن حيث مصادره، هو إسلام القرآن والسنة... وتسمى الإسلام السياسي يراد منها أن يكره الناس في الإسلام، نظرا لكراهية

الناس للسياسة في أوطاننا، وماجرت عليهم من كوارث، وماذاقوا على يديها من ويلات.⁶

وهذا ما أيده الدكتور راشد الغنوشي الذي يعد من أهم الرفضين لهذا المصطلح الذي يرى فيه تبعيضا للإسلام وتقسيمًا له إلى إسلام سياسي وآخر عقائدي...فليس هناك إلا إسلام واحد لا شريك له ولا اعتراف بغيره، هو الإسلام الأول: إسلام القرآن والسنة، فهذا هو الإسلام الحق...والإسلام الحق كما شرعه الله لا يمكن إلا أن يكون سياسيا، وإذا جردت الإسلام من السياسة فقد جعلته دينا آخر يمكن أن يكون بونية أو نصرانية أو غير ذلك، أما أن يكون هو الإسلام فلا.⁷

وحفاظا على قدسية الإسلام وصفاءه دعا بعض المفكرين إلى ضرورة تجنب إضفاء صبغة السياسي على الإسلام، والتفرقة بين الإسلام كدين رباني خالص والسياسة كممارسة بشرية قد تشوبها بعض العيوب والنقائص.

تجدد الإشارة إلى أن هناك تداخل كبير بين مفهوم الإسلام السياسي وغيره من المفاهيم الأخرى كمفهوم الحركات الإسلامية، الحركات الأصولية، الاسلاموية... وهذا التداخل تسبب في إحداث فوضى في استخدام المصطلحات، تلك الفوضى الناجمة عن الابتعاد في اعتماد الموضوعية في توصيف المصطلح كما يعبر عنه واقعه من جهة، واختلاف زوايا النظر بين الباحثين من جهة أخرى.

فعالم الاجتماع يطلق عليها حركات إسلامية، ويسميتها البعض حركات متطرفة، والغرب يطلق عليها الأصولية، بينما عدها باحثون آخرون حركات سلفية وهكذا. ويعود سبب هذا الاختلاف في استخدام المفاهيم إلى أن الحركات الإسلامية تتميز بتنوعها النابع من اختلافها في التفسير والاجتهاد، فهذه الحركات ليست متناغمة أو متفقة تماما فيما بينها بل تتخللها اجتهادات متباينة تتراوح ما بين الاعتدال والتطرف سواء على مستوى الأطر الفكرية والنظرية أو فيما يخص برامجها العملية على الساحة السياسية، إلا أن أحدا لا يمكنه أن ينكر وحدة هذه الحركات سواء من حيث مرجعها إلى الإسلام، أو من حيث دعوتها إلى قيام المجتمع الإسلامي.⁸ رغم المراجعات الكبيرة التي اعتمدها في هذا الشأن.

ثالثاً- حركات الإسلام السياسي وإشكالية التصنيف.

بالرجوع إلى أهم الأدبيات التي اهتمت بتصنيف حركات الإسلام السياسي يمكن تحديد فئتين من هذه الحركات:⁹

- الفئة الأولى: تشمل الحركات المعتدلة التي تقوم بممارسة العمل السياسي في إطار النظم القائمة، من خلال الأساليب السلمية مع نبذ العنف كآلية في التعاطي السياسي مع الآخر، ومن هذه الجماعات على سبيل المثال: جماعة الإخوان المسلمين في مصر، جبهة العمل الإسلامي في مصر، حزب التنمية والعدالة في تركيا، حركة النهضة في تونس، حركة مجتمع السلم في الجزائر.

- الفئة الثانية: تشمل الجماعات والتنظيمات الراديكالية التي تتبنى أفكار التكفير، وتتجه العنف كوسيلة للإطاحة بالأنظمة الحاكمة وبناء الدولة الإسلامية طبقاً للأصول الإسلامية الصحيحة وفقاً لتصورات هذه الجماعات، ومن بينها: جماعة الهجرة والتكفير، تنظيم الجهاد، الجماعة الإسلامية في مصر، إضافة إلى الجماعات التي انخرطت في العمل المسلح في الجزائر، منها: الجيش الإسلامي للإنقاذ، الجماعة الإسلامية المسلحة، الجماعة السلفية للدعوة والقتال، تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي.

كما يمكن تقديم التصنيف الذي حدده هاكان يافوز Hakan Yavuz لحركات الإسلام السياسي حسب الجدول التالي:¹⁰

الاستراتيجيات والوسائل			
الحركات الثورية	الحركات الإصلاحية		
تضع الدولة كهدف للتغيير وهي ترفض النظام وتسعى لتغييره من خلال العنف.	تضع الدولة هدفاً للتغيير أملاً في السيطرة على الدولة أو المساهمة في صوغ سياسات الدولة بالمشاركة السياسية وإنشاء أحزاب سياسية أو التحالف مع أحزاب أخرى، وتعتمد الأساليب	التوجه نحو الدولة	على المستوى العمودي

	الديمقراطية والقانونية للتغيير .		
الهدف: الدولة.	الهدف: الدولة، التعليم، النظام القانوني، الرعاية الاجتماعية.		
المحصلة: المواجهة.	المحصلة: تسويات		
الحركات الروحية/ الإيمانية/ ذات التوجه الداخلي	حركات مجتمعية (تعنى بالحياة اليومية للمجتمع).		
الانسحاب من الحياة السياسية لتعزيز القيم الذاتية والروحية. وهي حركات مغلقة لها فضاؤها الداخلي. ويمثل الفرد أحد أهم مرتكزاته لإحداث التغيير الاجتماعي.	تضع الفرد والمجتمع هدفا للتغيير ونتيجة المساحات الفرص الجديدة في الاقتصاد، والسياسة، والمجال الثقافي، فهذه الحركات تستخدم وسائل الإعلام وشبكات الاتصالات لتطوير المساحات الخطابية لبناء هوية المجتمع وفق أدبياتها، وتسخر طاقات العلماء والمفكرين والإعلام لتغيير المجتمع	التوجه نحو المجتمع	على المستوى الأفقى
الهدف: زيادة الوعي الأخلاقي والديني.	الهدف: الفرد/ المجتمع، وسائل الإعلام والاقتصاد والتعليم (الخاص).		
المحصلة: الانسحاب	المحصلة: الاندماج.		

المحور الثاني: حركات الإسلام السياسي بعد أحداث الربيع العربي: تحديات الواقع وسيناريوهات المستقبل.

قبل التطرق إلى أهم السيناريوهات المستقبلية لحركات الإسلام السياسي بعد خيبات الربيع العربي وجب التطرق بداية إلى أهم التحولات التي شهدتها هذه الحركات فكريا وسياسيا في المجال السياسي العربي.

أولاً-تداعيات أحداث الربيع العربي على حركات الإسلام السياسي.

مثل الربيع العربي لحظة فارقة في تاريخ الحركة الإسلامية الحديثة أو ما يعرف بحركات الإسلام السياسي ويرجع الباحث خليل العناني ذلك للأسباب التالية:¹¹

- أن الربيع العربي العربي قد أنهى بشكل كبير حالة الاغتراب والتهميش والإقصاء التي كانت سائدة لدى قطاعات واسعة من الحركة الإسلامية طوال العقود الثلاثة الماضية.

- أن الربيع العربي أعاد تشكيل المشهد الإسلامي بشكل جذري، باعتبار ذلك جزءاً من إعادة ترتيب المشهد السياسي بوجه عام.

- أن عملية دمج الحركات الإسلامية لم تأت بقرار من فوق أو بحسب رغبة السلطان، بل بقرار تحتي وباختيار شعبي حر من خلال الانتخابات البرلمانية والرئاسية.

لقد أشار الباحث بلال التليدي من خلال تقديم مؤلفه الموسوم "الإسلاميون والربيع العربي: الصعود، التحديات، وتدبير الحكم"، إلى أن الربيع الأكبر من سمات الربيع العربي هي الحركة الإسلامية التي فرضت بموقعها وحجمها السياسي واقعاً سياسياً جديداً دفع الفاعلين السياسيين الآخرين محلئاً ودولئاً إلى تغيير مواقفهم وتكييفها حسب المعادلة السياسية الجديدة التي تشكلت في الوطن العربي. وأضاف أن بروز الإسلاميين وتصدرهم للمشهد السياسي لم يكن خارج التوقع السياسي، بل كان نتيجة طبيعية لتراكم الفعل الحركي والسياسي للحركة الإسلامية، ولل فراغ السياسي الذي تسبب الاستبداد السياسي في إنتاجه.¹²

لكن مالم يكن متوقعا ذلك التحول الكبير الذي أحدث زلزالاً واسعاً في المجتمعات العربية وحتى الغربية سواء على المستوى السياسي أو على المستوى الديني والفكري، ويتعلق الأمر بدخول التيار السلفي للعبة الديمقراطية بعد أن كان لا يؤمن بها، ويعتبرها بضاعة غربية غير قابلة للاستيراد أو التطبيق في التربة الإسلامية، غير أن هذا القبول بالديمقراطية كآلية يقابله رفض لها كفلسفة ومضمون.

وقد وصف الكاتب حسن عبيد في مقالة له حول دور الحركات الإسلامية في عملية الاندماج الاجتماعي في مصر مشاركة السلفيين في العملية السياسية بأنها سببت لهم صعوبات كبيرة، حيث جعلتهم بين التزاماتهم الفقهية السابقة والالتزام بالديمقراطية التي اختلفوا مع معاييرها كثيرا، والوقوع تحت وطأة التكتيكات للمحافظة على جسم التيار السلفي من الانقسامات، والحصول على أكبر الأصوات في الانتخابات - فهم يواجهون صعوبات أيديولوجية خلقت منطقة رمادية غامضة بين ما هو ديني وما هو سياسي. إذ كان لديهم قبل الثورة خطاب ذو بعد واحد، البعد الديني، لكن بعد الثورة وجد بعد آخر، البعد السياسي الذي رُبط بالأول بعلاقة مبهمه، بل وغير منسجمة أحيانا. ولا يعود السبب إلى حداثة مشاركتهم السياسية فحسب، وإنما إلى الاصطدام أيضا بمخزون فقهي كَبَل الخطاب السياسي، والعكس صحيح.¹³ ورغم كل ذلك فقد استطاع التيار السلفي أن يكون لاعبا أساسيا في المشهد السياسي المصري ليس بسبب خبرته السياسية ولكن بسبب قبول المجتمع لخطابه الديني، ومعاقبة للنظام السابق على فسادِه واستبداده.

لكن مع الأحداث المتسارعة التي شهدها العالم العربي، بداية بالانقلاب على الديمقراطية التي أفرزتها ما يعرف بثورات الربيع العربي وانتهاء بعودة الدولة العسكرية أو عودة الدولة العميقة إلى الحكم بدأ التشكيك في الديمقراطية، فحتى تتجح هذه الأخيرة في المجتمعات العربية حسب أنصار التيار العلماني لا بد أن لا تفرز نتائجها حزبا إسلاميا، لأن في ذلك خطر كبيرا سواء على الدين أو على الديمقراطية. وهنا لا بد أن يثار تساؤل جوهري: لماذا كلما وصلت بعض حركات الإسلام السياسي إلى السلطة بطريقة ديمقراطية يتم الانقلاب عليها بدعوى حماية الديمقراطية؟

رغم أن من أهم التدايعات الفكرية والسياسية للربيع العربي على الحركات الإسلامية تلك التدايعات المرتبطة بالديمقراطية، حيث انتقل الإسلاميون في أجواء هذه الثورات من الديمقراطية الأداتية التي تجسدها أدوات الانتخاب والتعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة... إلى الديمقراطية الفلسفية التي تجسدها مفاهيم الحرية والقانون

الوضعي والمساواة، وتبدد في هذه الأجواء الكثير من الشبهات والتحفظات الإسلامية عن الديمقراطية التي كانت تشكل عقبات كأداء أمامها.¹⁴

ثانياً- سيناريوهات مستقبل حركات الإسلام السياسي على ضوء انتكاسة ثورات الربيع العربي.

أثار أداء القوى الإسلامية واستجابتها لموجة الثورة المضادة، ولمجمل القضايا الكبرى التي فجرتها تحولات السنوات القليلة الماضية، الجدل من جديد حول مستقبل التيار الإسلامي السياسي، سواء باعتباره قوة سياسية رئيسية في المجتمعات الإسلامية، أو لما يمثله على صعيد الفكر السياسي. وفي هذا السياق، تتعدد الرؤى والأطروحات التي تحاول رسم ملامح الأفق المحتملة للقوى الإسلامية وتحديد المؤشرات الدالة عليها. وقد طرح أستاذ العلوم السياسية المشارك بمعهد الدوحة للدراسات العليا، خليل العناني، ستة عوامل تؤثر في تعيين أو تحديد مستقبل الحركات الإسلامية، وهي كمايلي:¹⁵

- أن يفشل سيناريو الإقصاء والاستئصال سواء من خلال أنظمة سلطوية قديمة أو جديدة، وهذا سيؤدي إلى عودة الخيار القديم المرتبط بالدمج من خلال وضع قواعد جديدة للعبة السياسية؛ حيث يتم السماح للإسلاميين بالمشاركة في العملية السياسية عبر تحجيم قوتهم كما كانت الحال في عهد نظام مبارك.
- فشل الحرب على الإرهاب، وقد ثبت فشل هذا الخيار الذي يؤدي إلى مزيد من "الإرهاب"، وقد يعود الغرب إلى البحث عن إسلاميين معتدلين حسب الوصفة الغربية لإحداث توازن مع الحركات الجهادية العنيفة.
- أن تستعيد الحركات الإسلامية عافيتها وأن تتحول إلى جزء من التيار العام وأن تستعيد الوعي المقاوم للسلطوية العربية، وهو ما سيؤدي إلى انفتاح بعض القوى غير الإسلامية على التعاون مع القوى الإسلامية وبالتالي عودة تأثير هذه القوى على الساحة.
- أن تعيد الحركات الإسلامية تموضعها داخل خريطة التغيير العربي وتتبع عن الخطوات الإقصائية والانتقامية من شركائها في عملية التغيير.

- أن تحافظ الحركات الإسلامية على تماسكها في مواجهة الهجمة الإقصائية .
 - أن تعيد النظر في القضايا المؤجلة وتبتعد عن سياسة الغموض الاستراتيجية في قضايا، مثل الدولة المدنية، المرجعية الوطنية... الخ
 أما الكاتب محمود أحمد جبر فيرى أن مستقبل حركات الإسلام السياسي، تحكمه العديد من الرؤى والسيناريوهات المطروحة، والتي يمكن إدراجها في اقترايين رئيسيين:¹⁶

1- الاقتراب الأول: يضم السيناريوهات والخيارات التالية:

أ- خيار المراجعة النقدية:

والذي يقوم على تبني بعض حركات الإسلام السياسي مراجعات فكرية، والإقرار بالأخطاء، وتقديم تصور جديد يؤلف بين فكرها وبين فكرة "الوطنية"، ويظهر إيمانها بالتعددية السياسية وتداول السلطة، واحترام حقوق الانسان وحرية التعبير.
 ب- خيار المواجهة:

وهو دخول بعض حركات الاسلام السياسي في مواجهة عنيفة وأعمال عدائية وإرهابية ضد المجتمع ومؤسسات الدولة، انتقاما من الانقلاب عليها، ورغبة منها في إفشال السلطة التي حلت محلها، وإرهاق الدولة وإنهاك قواها، وإجبار النظام الحاكم على تقديم تنازلات جذرية أو فارقة .

ج- خيار التكيف المؤقت:

ويعني ذلك تكيف تكتيكي مؤقت لتلك الحركات مع تحديات المرحلة، والاعتراف بشرعية الوضع القائم والالتزام بقواعد اللعبة السياسية الحالية، في إطار القبول بالأمر الواقع مؤقتا دون الدخول في مواجهة مع النظام البديل.

د- خيار العائل البديل:

وفيه يحاول بعض المنتمين لحركات الإسلام السياسي المتعرضة للانقلاب العودة لممارسة دور سياسي من خلال أحزاب أخرى، أو العودة في صورة نواب مستقلين بالبرلمان .

ه- خيار توزيع الأدوار:

وفيه ينقسم أعضاء الحزب أو الجماعة إلى قسمين رئيسيين يتبادلان توزيع الأدوار، القسم الأول يُظهر وجها معتدلا نسبيا، ويدعو إلى عودة حزبه إلى ممارسة العمل الدعوي الصريح، والتصالح مع المجتمع، بينما القسم الثاني يكون متطرفا وقد يلجأ إلى الخيار العسكري والصدامي مع النظام القائم.

2- الاقتراب الثاني: ويضم العديد من السيناريوهات، أهمها:

أ- سيناريو الإقصاء والاستئصال: وفيه يسعى النظام إلى القضاء الشامل على بعض الحركات الإسلامية التي تهدده، خاصة إذا أصرت هذه الأخيرة على مواجهة المجتمع والدولة بالعنف والإرهاب دون التكيف معها. وهو سيناريو كارثي، تتعكس آثاره على الدولة والمجتمع والأفراد، وتكلفته السياسية والمعنوية مرتفعة.

ب- سيناريو العودة والبقاء: من خلال عودة تلك الحركات إلى الحياة السياسية بتبني الأسلوب السلمي عن طريق كسب دعم شعبي، ويساعدها في ذلك الاحتجاجات المستمرة التي تكسر إرادة النظام.

ج- سيناريو استمرار المواجهة: من خلال اختيار تلك الحركات أسلوب مواجهة النظام القائم بالاستمرار في تبني نهج المظاهرات والاحتجاجات، وتشويه صورته إعلاميا، أو من خلال تبني الأسلوب العنفي الذي قد يدفع النظام إلى التفاوض معها. وهذا السيناريو قد يؤدي إلى انتهاء مشروع الإسلام السياسي بكافة مكوناته.

د- سيناريو المهادنة بين الحركات الإسلامية وبين النظام: وبمقتضاه يحاول الطرفان إيجاد أرضية تفاوضية لحل مختلف المشاكل والأزمات القائمة بينهما، والذي لا يستطيع طرف تحقيق القضاء على الآخر.

ومن خلال التمعن في تحليل مختلف التجارب الفاشلة لمشاركة بعض حركات الإسلام السياسي في إدارة شؤون الحكم بعد انتكاسة ثورات الربيع العربي، وأمام استحالة بقاءها في السلطة لأسباب داخلية وأخرى خارجية، بعضها موضوعي وبعضها بعيد عن الموضوعية، وبعد الانقلاب عليها بدعوى حماية الديمقراطية

وإقصائها من الحياة السياسية أحيانا أو سقوطها بطريقة ديمقراطية سلمية أحيانا أخرى، نجد أنفسنا أمام السيناريوهات التالية:

سيناريو نهاية حركات الإسلام السياسي:

لقد كانت حركات الإسلام السياسي بعد بروز أحداث الربيع العربي أمام فرصة تاريخية للتأكيد حول أحياتها في قيادة مجتمعاتها نحو النهضة والتنمية غير أنها لاعتبارات كثيرة ونتيجة هندسة فواعل داخلية وأخرى دولية لم تستطع الاستمرار في الحكم، فخرجت في مصر بثورة مضادة جعل مستقبلها مبهما وغامضا، قيادات في السجون، تحولت هي من فاعل سياسي إلى تهديد إرهابي، مما دفع بالعديد من المحللين والباحثين إلى القول بزوالها ونهاية دورها، وذلك بعد عزلها ودفنها سياسيا. ولذلك تم استخدام مصطلحات ما بعد الإسلام السياسي في إشارة إلى تجاوزه بلا عودة.

سيناريو علمنة حركات الإسلام السياسي:

من خلال خطابات بعض الفاعلين السياسيين باسم الإسلام السياسي نلاحظ بروز نزعة جديدة تحاول المواءمة بين مجتمعنا وثقافتنا ومكتسبات الأزمنة المعاصرة، مع نحو من الإلحاح على المرجعية الدينية، تحت غطاء عدم التفريط في الهوية الثقافية للأمة، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى التساؤل حول إمكانية علمنة الإسلام السياسي.¹⁷

الإجابة عن هذا السؤال أفرز فريقين، الأول يرى استحالة ذلك بحكم التناقض الصريح بين الإسلام والعلمانية التي تعتبر في كتابات بعض الإسلاميين كفرا، أما الفريق الثاني فلا يرى بأسا من الاتجاه نحو فصل السياسي عن الديني في المجال السياسي العربي، وذلك حماية لقدسية الدين وتحصينا له من استخدامه في الصراعات السياسية الضيقة، وهذا من شأنه أن يفقد هبة الدين في المجتمع ويقلل من قدسيته. ولاشك أن الخيار الثاني هو ما تبنته حركة النهضة التونسية بقيادة زعيمها راشد الغنوشي في مؤتمرها العاشر.

وقد اعتبر الشيخ الحسن ولد الددو أن من أبرز ملامح التحولات التنظيمية التي عرفتتها الحركات الإسلامية بعد أحداث الربيع العربي الفصل بين العمل السياسي والعمل الدعوي والتربوي في أداؤها؛ إذ إن "قيادة السياسة تختلف عن قيادة العمل الدعوي، ومن العسير إيجاد قيادة مؤهَّلة تقود العمل السياسي والعمل الدعوي في نفس الوقت؛ فاحتيج إلى أن يكون هناك قيادتان، قيادة تُوجِّه في العمل السياسي مختصة في هذا الجانب، وقيادة تُوجِّه في العمل الدعوي والتربوي مختصة في هذا الجانب". وهنا تبرز فكرة التخصص الوظيفي بين الحقل السياسي والدعوي، لكن ذلك لا يعني التمايز المطلق بينهما؛ إذ "يبقى التنسيق والتشاور والأطر الجامعة هي النّائِظ والمضامن لعدم الانحراف في أي اتجاه من الاتجاهين...فالسياسي، حسب الشيخ الددو، يُقَوِّم الدعوي والدعوي يُقَوِّم السياسي والتعاون بينهما ضرورة"¹⁸.

سيناريو عودة حركات الإسلام السياسي:

كما أشرنا سابقا يعتقد بعض المحللين والباحثين السياسيين بنهاية حركات الإسلام السياسي بعد انتكاسة ثورات الربيع العربي، خاصة بعد اتهام بعضها بالعنف والإرهاب في إشارة واضحة لحركة الإخوان المسلمين في مصر، غير أن واقع هذه الحركات وتاريخها النضالي يفند هذه الإدعاءات، ذلك أن قوتها متأتية من قدرتها على التغول والتغلغل داخل الأوساط الشعبية، وأن ضعفها أو إضعافها لا يعني إطلاقا موتها ونهايتها، لأنها في حقيقة الأمر ليست حركات سياسية فقط، بل هي حركات دينية ذات صبغة سياسية، وبالتالي فهي حركات لها القدرة على التكيف مع الظروف المتغيرة باستمرار، وعودتها مستقبلا كلاعب سياسي في المشهد العربي أمر لا مفر منه، وذلك رغم كل ما تعرضت له من تشويه أثر على شعبيتها لدى فئات واسعة من الشعب العربي.

وفي اعتقادنا فإن هذه العودة قد تكون نتاج تغيرات سياسية جذرية في المجتمعات العربية وقد تكون بفعل صفقة تصالحية مع أنظمة الحكم الحالية أو المستقبلية.

خاتمة:

رغم صعوبة تناول موضوع المستقبليات في الواقع العربي باعتباره واقعا مضطربا يتسم بالغموض والضبابية، إلا أننا حاولنا قدر المستطاع تحديد أهم السيناريوهات المستقبلية لحركات الإسلام السياسي في المنطقة العربية بعد انتكاسة ثورات الربيع العربي، وهي الانتكاسة التي جعلت تلك الحركات أمام امتحان عسير يصعب التكهّن بنتائجها. وبعد الدراسة والتحليل يمكن استخلاص العناصر التالية:

- الأحداث المتسارعة التي عرفتها بعض حركات الإسلام السياسي بعد انتكاسة ثورات الربيع العربي يضعها أمام ثلاث سيناريوهات مستقبلية رئيسية: سيناريو إقصائي يؤدي إلى أفولها سياسيا، سيناريو العلمنة بفصل السياسي عن الدعوي، وسيناريو تصالحي يتطلب ضرورة عودتها كفاعل سياسي، كل ذلك يتوقف على طبيعة علاقتها مع الأنظمة السياسية القائمة داخليا، وعلاقتها الإستراتيجية مع القوى الخارجية.

- إن الحالة الحرجة التي عاشتها أغلب حركات الإسلام السياسي في المنطقة العربية بعد ثورات الربيع العربي يتطلب منها القيام بمراجعات عميقة حول واقع ومستقبل مشروعها المجتمعي، من خلال التوجه نحو بناء توافقات بين مختلف التيارات الإسلامية العاملة في الساحة السياسية (حوار إسلامي إسلامي)، مع مزيد من الحكمة والعقلانية في إدارة صراعاتها مع مختلف القوى العلمانية.

بقي أن نشير إلى أن تغييب حركات الإسلام السياسي الفاعلة في المجتمعات العربية، وسياسة الإقصاء المنتهجة من طرف بعض الأنظمة قد يؤدي إلى التوجه نحو مزيد من العنف والتطرف والإرهاب، لذلك لا سبيل إلا بانتهاج أسلوب الحوار والمشاركة الجماعية في بناء أوطان آمنة ومستقرة.

قائمة المراجع:

- 1 صلاح علي نيوف، طارق حمو، الحرية والديمقراطية في خطاب الإسلام السياسي بعد التحولات الأخيرة في العالم العربي. عمان: دار الكتاب الأكاديمي، 2014، ص 19.
- 2 توفيق السيف، "تحولات الإسلام السياسي ومستقبله في السياسة". في كتاب: توفيق السيف وآخرون، مستقبل الإسلام السياسي في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014، ص 115.
- 3 محمد سليمان، "مشاركة الحركة الإسلامية في السلطة: نموذج حركة حماس الجزائرية". مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية بجامعة وهران، 2012-2013. ص 23-24.
- 4 عبد المنعم منيب، دليل الحركات الإسلامية المصرية. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2010، ص 10.
- 5 فاتح محمد سليمان سة نكاوي، معجم مصطلحات الفكر الإسلامي المعاصر: دلالاتها وتطورها. بيروت: دار الكتب العلمية، 2012، ص 191.
- 6 يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الإسلام. ط3، القاهرة: دار الشروق، 2001، ص ص 09-88.
- 7 راشد الغنوشي، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام. الدار العربية للعلوم ناشرون، مركز الجزيرة للدراسات، ص 36.
- 8 نغم محمد صالح، الحركات الإسلامية في المغرب العربي: المغرب، تونس، الجزائر: دورها السياسي في ظل التحولات الديمقراطية. عمان: دار الجنان للنشر والتوزيع، 2010. ص 11.
- 9 محمد سليمان، المرجع السابق الذكر، ص 1-2.
- 10 M.Hakan Yavuz, Islamic Political Identity in Turkey. USA : Oxford University Press , 2003,P28.
- 11 خليل العناني، "التيارات السلفية في مصر: تقاعلات الدين والأيدولوجيا والسياسة". في كتاب: امحمد جبرون وآخرون، الإسلاميون ونظام الحكم

- الديمقراطي: اتجاهات وتجارب. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013، ص ص 132-133.
- 12 سامح عيد، الحركات الإسلامية في العالم. مصر: مكتبة الإسكندرية، 2012، ص ص 35-36.
- 13 حسن عبيد، "دور الحركات الإسلامية في عملية الاندماج الاجتماعي في مصر (2010-2012)". في كتاب: أحمد بعلبكي وآخرون، جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014، ص ص 788-789.
- 14 امحمد جبرون، "الإسلاميون في طور تحول: من الديمقراطية الأداة الى الديمقراطية الفلسفية (حالة حزب العدالة والتنمية المغربي)". في كتاب: امحمد جبرون وآخرون، الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي: اتجاهات وتجارب. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013، ص ص 73-74.
- 15 مركز الجزيرة للدراسات، التحولات الفكرية والتنظيمية في الساحة الإسلامية بعد ثورات الربيع العربي. تقرير مفصل عن ندوة: التحولات في الحركات الإسلامية. من موقع: <http://studies.aljazeera.net/ar/events/2016/11/161103054928439.html>
- 16 محمود أحمد جبر، مستقبل الاسلام السياسي في دول الربيع العربي: مصر نموذجا. من موقع: <https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/353314.html>
- 17 كمال عبد اللطيف، "فكر النهضة والثورات العربية". في كتاب: امحمد جبرون وآخرون، الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي: اتجاهات وتجارب. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013، ص 39.
- 18 مركز الجزيرة للدراسات، التحولات الفكرية والتنظيمية في الساحة الإسلامية بعد ثورات الربيع العربي. تقرير مفصل عن ندوة: التحولات في الحركات الإسلامية. من الموقع السابق: <http://studies.aljazeera.net/ar/events/2016/11/161103054928439.html>